

الدرس الثامن / حلية طالب العلم  
مازلنا مع كلام الشيخ عن ترقيب الكتب التي ليسر عليها طالب العلم في  
طريقه في طلب العلم

وفي التفسير: «تفسير ابن كثير» رحمه الله تعالى.

ذكر رحمه في التفسير: «تفسير ابن كثير» وهو من أعظم كتب التفسير التي عُنيَتْ  
بِالْأثر وهو يفسر القرآن بالقرآن والأخبار النبوية أو بالأثر الواردة  
وأعظم وأجمع منه طبعاً تفسير ابن جرير الطبري عليه رحمه الله تعالى

وفي أصول التفسير: «المقدمة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

تعالى.

وهذا كتاب مائة وعشرون لشيخ الإسلام ومختار إلى فهم ورواية وله  
بشراحات والمجملات.

وفي السيرة النبوية: «مختصرها» للشيخ محمد بن عبد الوهاب،

وأصلها لابن هشام، وفي «زاد المعاد» لابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومختصرها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله  
ثم أصلها وهو كتاب ابن هشام وهو من أوسع كتب السيرة وأشملها  
ثم زاد المعاد لابن القيم وهو مختار طبعاً يتحققه وقد قيّض واستفراجه  
للصواب والنكاح وقد حقق الكتاب أيضاً الحمد لله.

وفي لسان العرب: العناية بأشعارها؛ كـ «المعلقات السبع»،

والقراءة في «القاموس» للفيروز آبادي رحمه الله تعالى.

... وهكذا من مراحل الطلب في الفنون.

وذكر عليه رحمه الله في تقويم اللسان العربي العناية بأشعارهم وخصوصاً  
الفنية منها كـ «المعلقات السبع» وهي ما علقها العرب قدماً في جوف  
الكعبة فعبيراً منهم على الشهاده فبخلها وحيزاتها وقفوها  
على غيرها من أشعار العرب وقصيد القاري لها طوائف كثيرة



وكذلك القراءة في القاموس، للفيروز آبادي وهو من أفضلها وأجملها  
وهذا طبعاً يذكره الشيخ رحمه الله فيما كانه يسير عليه الدروس في  
منطقته وبلده وقد تخطت ثم صارت أخرى وقتنوع من مكانه  
إلى مكانه

وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطولات؛ مثل «تاريخ ابن جرير»،  
وابن كثير، وتفسيريهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية،  
وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكتب أئمة الدعوة وفتاويهم، لا  
سيما مخرراتهم في الاعتقاد.

وهكذا كانت الأوقات عامرة في الطلب، ومجالس العلم، فبعد  
صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قبيل صلاة الظهر، وفي  
أعقاب جميع الصلوات الخمس تُعقد الدروس، وكانوا في أدب جم  
وتقدير بعزة نفس من الطرفين على منهج السلف الصالح رحمهم الله  
تعالى، ولذا أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمع غفير،  
والحمد لله رب العالمين.

فهل من عودة إلى أصالة الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة،

ويذكر رحمه الله تعالى أن الطالب بعد مروره بالمرحلة الأولى من التعليم وترسيخه  
قدمه ويستعد عودته يستأنف في مجرى المطولات جمع الكتب المأولة  
كتاريخ الطبري وتاريخ ابن كثير المسند النبوي والفتاوى وهذه  
الكتب الكبيرة لا تخصص حصصاً معيناً وإنما فيها علوم كثيرة ففيها تراجم  
وتواريخ وأحكام وغير ذلك وفيها مواد فريدة وغريبة ولكن تحتاج  
خبرة ومصيرة للسير فيها فلا ينبغي للمبتدئ أن يشتغل فيها حتى  
يستكمل أدوات السير فيها.



وذكر رحمه الله أنهم كانوا يعشرون بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله  
وتلميذه في كتب الكوفة المأثورة الناضرة للشيخ والقاضية للبيروت  
قال العتيق رحمه الله: وكان الشيخ السجدي يفتي على قراءتها آلاف فيها  
من التحقيق والتحري والتفصيل ما لا يوجد في غيره وقال رحمه الله في العتيق  
وتحس وأنت تقرأ بأن كلامها ينبع من القلب ولهذا يؤثر في زيادة  
الإيمان.

وصفت رحمه الله الحاد بأذال وأوقات كانت عاصرة في المطالب  
فكانوا يدورون معه بعد الفجر إلى ارتفاع الضحى ثم يقولون والدور  
عقب الصلوات الحسنة وذكر من صفته الأدب فيما بينهم وهذا أمر أعظم  
الأمر بركة فأما من كل أدب قبل في العلم وبلغ وكانوا هذا الأدب  
على ضيق السلف لا غلوا ولا إطرأ ولا إجحاف وإنما هم الوصفية  
الطالوية المعجودة ولذا كان من قوتها علماء أجلاء فهذه الطريقة  
الأصلية هي البيئة الصالحة لأحوال العلماء قول من عبادة الدنيا  
قد رتبته البيانات المتعمرات المعتمدة لا على المذكرات لأننا ربما نكون  
غير متأكدين من غير ضرورة بخلاف المتعمرات المعتمدة ولا بد كذلك من حفظ  
هذه المتون حتى لا يضيع الطلبة فلا حفظ ولا فهم.  
لذلك حذر الشيخ العتيق من هؤلاء الذين يؤهرون الطلبة في حفظ  
المتون ويقول رحمه الله في علم بلا حفظ فيزول سريعاً. ولهم حفظ  
لضعفنا فافقنا الله تعالى إلا بما حفظنا من المتون. ولهم حفظ  
لضعفنا لضعف علم كثير، فلا تختر من يقول: الفهم الفهم  
هؤلاء لم يسمعوا أو ناقشوا لو حديثهم فخلاص ليس عندهم إلا علم "محل"  
كراية ببيعة يحسب الطمان ما إذا حق أو جاده لم يحسب شيئاً.

لا على المذكرات، وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى  
ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم!

وفي خلل التلقين من الزغل والشوائب والكدر، ستر على منهاج  
السلف؟

والله المستعان.



وقوله: «وفي سبلو السلفين من الغل والسواك والأكدر من أي يكون  
العالم في تدرسه من أفعاله صالحة البينة لأد للعلم ومكون المنع على  
سير الأديس والإحصاء والتأسي بجملة من خلفه الربيه مؤتمنا  
أشياء من الأرواقت الفاسدة بذلك يكونوا على منها في  
السلف والله هو الموفق والمستعان فبأنه أديسنا وموفقنا

وقال الحافظ عثمان بن خرزاذ (م سنة ٢٨٢هـ) رحمه الله تعالى (١):

«يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عُدَّت واحدة؛ فهي  
نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة  
تُعرف منه».

قلت: - أي الذهبي -:

«الامانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج  
إليه الحافظ أن يكون: تقيًا، ذكيًا، نحويًا، لغويًا، زكيًا، حيًا، سلفيًا يكفيه  
أن يكتب بيديه متي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مئة  
مجلد، وأن لا يفتقر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة، وتواضع،  
والأ فلا يتعن، اهـ».

ثم كتب لما نقله الذهبي عن ابن خرزاذ حنا حاحيه الحديث وما يحتاجه  
في سيرة لطلب الحديث فيقال يحتاج إلى عقل جيد، ودين  
علق الذهبي رحمه الله بأن الامانة جزء من الدين والصحة ما خلف  
الحديث فأرجعها الذهبي إلى ثلاثة عقل جيد ودين وحذق  
وقال الذي يحتاج الحافظ أن يكون تقيًا ولم لا والتقوى  
رأس الأمر، ذكيًا فلا يخلع مع العلم الأغبياء وأنني لهم الإغتراف  
من معييت والمطاف من حمار هيهات هيهات



أخوتنا لغوتنا لو به أن يكونه لطالب الحديث وطالب العلم عموماً عناية باللغة  
 مع حبب الآخرة والصرف والبلاغة وكتب القولين وأخوة الله  
 وأنت ترى أن هذه ما حثت في الأصول وفي علوم القرآن وغيرها مما حثت  
 كلها لغوتنا

مؤكناً قفياً زكياً هو الذي يؤكّن نفسه بفعل المأمورات  
 والتقى به الذي يمجّز نفسه عن المنهيات  
 وقيل النبي من ينجح الإسلام قولاً عن أهل الظلام إنهم أوقوا  
 فهو ما وما أوقوا علومها وأوقوا ذكاءها وما أوقوا زكاءها

حيثاً فأن الحياة صانع صاحب من كل ما يشين  
 ويُمَيِّزُهَا من الحياة المضموم الذي يمتنع صاحب من السؤال  
 والتعلم فهذا يقال فيه لا ينال العلم مستعجل ولا مستكبر

سلفياً أي على طريقة السلف الصالح في الأدب والمعاملة والعقيدة  
 والتعلم والتعليم

يكفيه أنه يكتب بيديه ما فهمه من الحديث والمجلد على عودهم قد يفتل عن عناه  
 الآله

ويحصل من الدراية المعينة من مائة مجلد هكذا وذكر الذهب عليه  
 رحمه الله تعالى

وذكر من صفاته أيضاً أنه لا يفتقر عن طلب العلم إلى الحيات ثم لونه  
 من السيرة هذه السيرة المباركة كما جاء عنه أحمد بن حنبل مع الطحيرة  
 إلى المقبرة والآن من قال يا أيها عالم فهو في شرف

ويلزم النية الصالحة والتواضع فهذا له لديه منها للصحة والقوة  
 في الدنيا والآخرة ومن حرصها حرم الوصول والنجاة في الآخرة  
 وقال رحمه الله لا فلا يتفق أي لا يشغف نفسه في الطلب لجهالة لم  
 يكتف على ما ذكره من الصفات السابقة لكن تقول استعن بالله واحذر  
 وابذل قصارى جهدك والله ذو الفضل العظيم



## ١٧ - تَلَقَّى الْعِلْمَ عَنِ الْأَشْيَاخِ :

الأَصْلُ فِي الطَّلَبِ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقِ التَّلْقِينِ وَالتَّلَقِّي عَنِ الْأَسَاتِيدِ،

وَالْمُشَافَهَةِ لِلْأَشْيَاخِ ، وَالْأَخْذِ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ لَا مِنَ الصُّحُفِ وَبَطُونِ الْكُتُبِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ بَابِ أَخَذِ النَّسِيبِ عَنِ النَّسِيبِ النَّاطِقِ ، وَهُوَ الْمُعَلِّمُ ، أَمَّا الثَّانِي عَنِ الْكِتَابِ ، فَهُوَ جَمَادٍ ، فَأَنَّى لَهُ اتِّصَالُ النَّسَبِ ؟

وقد قيل : «مَنْ دَخَلَ فِي الْعِلْمِ وَحْدَهُ ؛ خَرَجَ وَحْدَهُ»<sup>(١)</sup> ؛ أَي : مَنْ دَخَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِلَا شَيْخٍ ؛ خَرَجَ مِنْهُ بِلَا عِلْمٍ ، إِذِ الْعِلْمُ صَنْعَةٌ ، وَكُلُّ صَنْعَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى صَانِعٍ ، فَلَا بُدَّ إِذَا لَتَعْلَمُهَا مِنْ مُعَلِّمِهَا الْحَاقِظِ .

وهذا يكادُ يَكُونُ مُحَلًّا لِجَمَاعِ كَلِمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ إِلَّا مِنْ شَذٍّ مِثْلُ : عَلِيِّ بْنِ رُضْوَانَ الْمَصْرِيِّ الطَّيِّبِ (م سنة ٤٥٣ هـ) ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ وَمِنْ بَعْدِهِمْ .

قال الحافظُ الذهبيُّ رحمه الله تعالى في ترجمته له<sup>(٢)</sup> :

«وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْخٌ ، بَلِ اشْتَغَلَ بِالْأَخْذِ عَنِ الْكُتُبِ ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي تَحْصِيلِ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْكُتُبِ ، وَأَنَّهُ أَوْفَقَ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ ، وَهَذَا غَلَطٌ أَهـ .

وقد بَسَطَ الصَّفْدِيُّ فِي «الْوَافِي» الرَّدَّ عَلَيْهِ ، وَعَنِ الزُّبَيْدِيِّ فِي «شرح الإحياء» عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُعَلِّلِينَ لَهُ بَعْدَةَ عِلَلٍ ؛ مِنْهَا مَا قَالَهُ ابْنُ بَطْلَانَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> :

(١) «الجواهر والدرر» للسَّخَاوِيِّ (١ / ٥٨) .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ١٠٥) .

وانظر : «شرح الإحياء» (١ / ٦٦) ، وَ«بُغْيَةُ الوَعَاةِ» (١ / ١٣١ ، ٢٨٦) ، وَ«شَذَرَاتُ

الذهب» (٥ / ١١) ، وَ«الْفَنِيَّةُ» لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ (ص ١٦ - ١٧) .

(٣) «شرح الإحياء» (١ / ٦٦) .



هذا الأمر الثاني الذي ذكره المؤلف رحمه الله في فصل كيفية الطلب والتلقي  
 ألا وهو التلقي عن الأشياء وهذا هو الأصل وهذا محل إجماع أو بطر  
 يكون محل إجماع لا بد من شيخ تأخذ عنه العلم والأخذ من فم الشيخ وفي  
 المركب عنه وقد أجزوا فوائد التلقي كما ذكره ابن عثيمين رحمه الله :  
 ١ - اختصار الطريق : فبدلاً من أن تبحث كم قول في المسألة وهناك هناك  
 والدليل والراجح فأمه الشيخ ويحتمر عليه كل هذا في لفتة سائغة  
 فيذكر لك الأقوال والآراء والراجح والتحليل .

٢ - السرعة : فهذا الذي يذهب إلى الكتاب في يد العبارة مرة ومرتين وأربع  
 ومرات وربما لا يفهمها وربما فهمها خطأ ، لكن الذي يسأل شيخه  
 أربع منه فإنه يدركه بسرعة .

٣ - الفائدة العظمى أنه التلقي من أئمة المشايخ أخذت نسبة عن تشييع  
 تأملهم حتى وهو يعلم وهذا نعم السب ونعم الرفعة والقدرة وأما الأخذ  
 عن الكتب فهذا إجماع فأتى له اتصال المشيخ كما قال رحمه الله .

وقيل قد دخل العلم وحده أي بدون شيخ ، خرج وحده أي  
 خرج منه بلا علم واستدل به دليل عقلي فالعلم صنعه كالطيارة والحدادة  
 ويحرقها حول هناك أحد تعلم الصنعة الأعلى يد صانع حاد فم  
 وهكذا العلم بالاصول .

وما ذكرناه من لزوم التعلم على يد حاد في بطر يكون محل إجماع ولم يشذ  
 عنه ذلك إلا على بن رضوان المروزي الطبري رحمه الله ، أخذ العلم  
 عن الكتب بل صنف كتاباً في ذلك وأنه هذه الطريقة هي أحسن وأدق وقد  
 روى العلماء قولاً في عصره وفي غيره ومنه هؤلاء وأقاله ابن بطر وقوله  
 الزبيدي في شرح الإحياء : لقوله .

والسادسة : يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم ، وهي معدومة

عند المعلم ، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع غدم

اللفظ ، والغلط بزوغان البصر ، وقلة الخبرة بالإعراب ، أو فساد الموجود



منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يُقرأ، وقراءة ما لا يُكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر الفاظ مُضْطَلَحٍ عليها في تلك الصناعة، والفاظ يونانية لم يُخرجها الناقل من اللغة؛ كالنوروس، فهذه كلها مُعَوِّقَةٌ عن العلم، وقد استراح المُتَعَلِّم من تكليفها عند قراءته على المُعَلِّم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة؛ فالقراءة على العلماء أجدي وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه... قال الصَّفْدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صَحْفِي ولا من مُصْحَفِي؛ يعني: لا تقرأ القرآن على مَنْ قَرَأ من المُصْحَف ولا الحديث وغيره على مَنْ أَخَذَ ذلك من الصُّحُف... اهـ.

هنا يذكر المؤلف رحمه الله ما رآه به العلماء على من يقرأ أن العلم مؤخَذ من الكتب ولا حاجة للشياخ بديانة أو ما نرى كيف أخذ البيهقي رحمه الله العلم القراءم أخذ بالثقل من جبريل عليه السلام، بل كان يأخذ كل عام في أرسه القرآن في رمضان مرة فلما كان في العام الذي قويت فيه البصيرة صلى الله عليه وسلم ما رآه من القرآن من قديم فقالوا في الرواية عليه: يوجد في الكتب أشياء تُضَيِّعُ عن العلم وهي معوقة عند المعلم وهي:

١- التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ... وهي بدو النسخ مع عدم التقط... التصحيف هو خطأ في قراءة الكلمة في لفظها نتيجة تشابه الحروف... كالتاء والثاء والياء والميم... خصوصاً بالأحزاب... كقوله في القديم لا يكونون النقط... ولذا ساء في النسخ الأخرى... مع عدم التقط... فالعلماء كتبت مثل الخاء والراء... مثل الرأي وهكذا... أما الخطأ من حيث الشكل أي في الرسم... كالدال واللام والهاء والراء والهمزة...

يعني كلمة... يروى... فكتب يدون فقط... فلو قال قائل استرعت برأ يصاح من قرون يدون مقامه... فلو قرأت هكذا حذو أحرام



والسبع غير صحيح فلا بد من المقابلة  
 وإن قرأت شيئاً وهو الحزير فالبيع صحيح  
 يقول أحدهم: ما خلقت شعراً نقي منذ كذا وكذا لماذا قال حديث  
 من قال البقرة لله عليه السلام من خلق الذكر يوم الجمعة هكذا قرأها والحديث  
 من قال البقرة لله عليه السلام من خلق الذكر يوم الجمعة وهكذا  
 وأحداهم يقول: ما استجرت إلا وحليت الوتر لماذا؟ يا ترى لأنه  
 من حديث البقرة لله عليه السلام: «استجروا فيوتروا» وهكذا كثير  
 حتى يعلم الطالب من كل هذا؟  
 الجواب: إذا قلقت من شيء  
 الفلأ بوقوفان البصر، وقلة الضربة بالأمراض وهذا له أثر كبير في تغيير  
 المعنى

أوصاف المرحوم منه، قد يكون الكاتب أو الذي أحرق الكتاب بطلعة أخرى  
 أو ما جاء بالتصديق بكونه عنه غلاماً كثير  
 هذه صاحب الكتاب، هذه أهم حجة لأنه هذا يؤثر في إختياره وعرضه  
 لمصرى كتابه فبعد أن نشر في عالم لا يرى في اللغة والبلاغة فأدوا قرأت كتابه  
 الكثاف طلى عليه هذه الإعتزال إلا أنه كانت عالماً بهذه أهل  
 السنة والحجامة فمن قرأ وهو لا يرى أخذ السهم الذي في العمل فمات به  
 إلى آخر ما ذكره المؤلف رحمه الله من الآفات التي تعرض لمن أخذ العلم  
 عنه الكتاب وهو يعلم من ذلك كله بأخذه عن الأستاذ  
 ولذله قال الهادي: لا تأخذ العلم من كسوف ولا من مصحفي

والدليل المادي القائم على بطلان نظرية ابن رُضوان: أنك ترى آلاف  
 التراجم والسير على اختلاف الأزمان ومر الأعمار وتنوع المعارف،  
 مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة  
 من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في «العُزَاب» من  
 «الإسفار» لراقمه.

وكان أبو حيان محمد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥هـ) (١) إذا ذكر

(١) مقدمة التحقيق لكتاب «الغنية» للقاضي عياض (ص ١٦ - ١٧).